حق حرية الرأي والتعبير – رؤية نفسية

م. م. رعد قاسم صالح
الجامعة المستنصرية /كلية العلوم السياسية

حق حرية الرأي والتعبير – رؤية نفسية

أن الأسلوب الوصفي للبحث في طبيعة حق حرية الرأي والتعبير للفرد قد لايقودنا الى فهم طبيعة هذا الحق والمسؤولية المترتبة عليه كما هو الحال في الأسلوب التجريبي التحليلي ، لأننا لسنا بصدد دراسة حالات شاذة للأراء والتعابير والسلوكيات ، ولكننا بصدد دراسة طبيعة المؤثرات البايلوجية والنفسية والذاتية والنفسية الأجتماعية التي توصل الأختلاف في الرأي والتعبير الى مستوى حقاً من حقوق الحرية الطبيعية للفرد ، وكيف أمكن تعريف هذا بالمسؤولية الملقاة عليه ، أي أن يدخل هذا الحق في النظام الهدفي لحركة التفاعل للفرد مع الجماعة ولايتوقف عند الواقع الغريزي في الحركة من أجل الحركة وأحداث الفوضى ، وبعيداً عن الأطار الفلسفي الشمولي الذي يقر مسلمات بعيدة عن هذا السياق والذي قد تقره بعض الأنظمة السياسية أو الأحزاب السياسية وتفرضة على الأفراد والجماعات لتجعل الفرد ساكتاً أعزل امام المتغيرات السياسية والأجتماعية والعلمية ليصبح نمطاً من الأنماط ، حيث نجد الخيارات والأراء والتعابير شبه موحدة تقريباً ولكنها بعيدة عن حقائق الفروق الفسيولوجية والنفسية التي تنوع الأراء والميول والرغبات لتشكل حقيقة بشرية أقرتها الشرائع السماوية قبل أن يتأمل فيها الأنسان وأشترطت جميع الرسالات السماوية لتأكيد هذه الحقيقة في المجادلة والمناظرة والأستماع لغرض الأقناع كخيار أول لتقبل العقل للنقل فجاء في القرآن الكريم " بسم الله الرحمن الرحيم – أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة –صدق الله العظيم – ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن – صدق الله العظيم – فلا أكراه في الدين فقد تبين الرشد من الغي ّ صدق الله العظيم (١) .

وأيضاً بعيداً عن الفلسفة المادية التي أعتبرت الفرد آلة ميكانيكية لاحول لها ولاقوة، دون أعتباره كتله فعالة مؤثرة يضيف ويطور يكتشف ويطبق ، ويقوم ويحاور بأدراك متجدد متطور متفاعل مع الجماعة التي هو أساسها وعامودها ليحرر نفسه والجماعة من قيود الضرورة الطبيعية ، فالفرد ليس آلة صماء بيد القوانين المادية والوضعية ورغبات الحكام ، إنما هو كائن أجتماعي له أراء وتعابير وخيارات ووعي لفهم القوانين ووصف الأشياء قد يصيب وقد يخطأ ولكن بالمناقشة والمجادلة والحوار مع الاخرين يصل الى طبيعة المسؤولية للمشاركه في وضع القوانين المعينة في تنظيم أستقرار وتطوير حياته والمجتمع الذي ينتمي إليه بعيداً عن نمط حياة الحيوان المحدد بغرائزه ومكانه (٢) لذلك جاءت حركة التنوير الفكري متدرجة متصاعدة من فترة القرن الثالث عشر لغاية اليوم في سياقها التاريخي مطابقة لهذه الحقيقة وكان لها محطات بارزة في النضوج الحضاري الأنساني من أهمها أقرارها لحقوق الأنسان عام ١٩٤٨، وأهم ركن في هذه الحقوق هو الحقوق المدنية والسياسية

وعموده حق حرية الرأي والتعبير ، فمنذ عملية فرض ميثاق ((العهد العظيم)) عام ١٢١٥م على ملك أنكلترا والمتضمن ٦٣ مادة طالبت بها القوى الفاعلة أنذاك في

١- سورة النحل آيه ١٢٥ – سورة العنكبوت آيه ٤٠٦ – من حديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٢- لمزيد من المعلومات أنظر وول ديوارنت – قصة الفلسفة – مكتبة المعارف – بيروت ١٩٧٩ – ص٥٥٨ – ص٥٥٩ .

المجتمع من الأقطاع ورجال الكنيسة لضمان حقوق النساء الأرامل مع تعديل قوانين الضرائب بالشكل الذي يضمن مشاركة أوسع في صياغتها والرقابة على تنفيذها ، وجاءت المادة ٣٩ لتحريم أيقاف أو سجن أي أنسان دون حكم قضائي ، وتوسعت الأراء وتعابيرها للأفراد لتطرح للسطح ما في داخل الذات وخير من عبر أنذاك توماس هوبز ١٥٨٨ – ١٦٧٩م الذي عبر عنها برفضه لتوظيف نظرية الحق الألهي التي تعطي امتياز للحكم المطلق من قبل رجال الكنيسة لأبادة حرية أراء الأفراد وتعابيرها وبعدها جاء جان لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤م فأنتقد بشدة التسلط والطغيان ودافع عن حق الأفراد في التعبير ضد الحرمان من هذا الحق وركز على حقوق الحرية والمساواة الطبيعية ولعل عبارته الشهيرة ((أن أشباع المصالح الخاصة للفرد هي الوسيلة لتوفير أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس)) خير صدى لمجادلات الأفراد أنذاك التي أنعكست في كتاب "روح القوانين" لمونتيسكليو عام ١٧٤٨م في طروحات الحرية والعدالة الأجتماعية مع ما طرحه جان جاك روسو عام ١٧١٢ – ١٢٧٨م بضرورة منح الحريات والحقوق الفردية والتي لعبت الدور المهم في قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩م [١] ، ومع مرور الوقت أنتشرت الأراء وتعابيرها في حقوق الحريات عامودياً وأفقياً داعية الى تقنين هذه الحقوق ، فلم يعد ذلك المعنى التقليدي الذي عبرت عنه الدولة وتعطشها للسيادة والسلطة المطلعة على حساب الحقوق والحريات الفردية مقبولاً ، ولم تعد تلك القيم التي يمكن أن تضفي طابعاً شرعياً على طاعة المحكومين للحكام دون مسألة لتذوب تحتها كافة الميول والرغبات والكفاءات لتكيف الفرد تكيفاً قسرياً ينتج عنه أنسان يعمل ضد حقيقة تكوينه النفسي والبايولوجي ليصبح فرداً لاخيار أمامه سوى التمرد والعنف أملاً في أحداث التغيير المطلوب في محيط بيئته الخارجية بما يتفق مع مكونات بيئتهِ النفسية الداخلية لينطلق بعدها نحو الأبداع والتطور ، وأستطاع مناصروا حق حرية الرأي والتعبير من التعبير والأجتهادية حتى تحقق لهم أنتزاع الوسائل المؤدية الى صياغة أشكال الحكم ووصف السلطة وواجباتها وأقسامها بالشكل الذي ضمن هذا الحق المعرف بمسؤوليتهِ وفق مبدئين :-

<u>الأول :</u> أعتبار حرية الرأي والتعبير حق طبيعي للأنسان لأنها أنعكاس حسي وعقلي ونفسي لمدركات الفرد التي لاتتطابق مع أنعكاسات الأفراد الأخرين عند أكتساب المعارف والتجارب للتعبير عند وصف

---

[١]- أنظر جان جاك شافيلية – تاريخ الفكر السياسي من الدولة المدنية الى الدولة القومية – المؤسسة الجامعية للنشر – بيروت ١٩٧٩ ص٩ – ص١٠ .

الاشياء في محيطهم الخارجي ، ولكي نفهم ونفسر أهمية هذا الحق علينا فهم وتفسير تنوع المدركات الفردية لانها تؤدي الى تنوع السلوكيات والآراء التي هي نشاط جسمي وعقلي وأنفعالي ملموس يصدر من أنسان ككائن أجتماعي أستجابة لمثيرات قد تكون موحدة تقريباً ولكل عملية التفاعل معها مختلفة بأختلاف المدركات لكل فرد ، والمنظور النفسي " علم النفس الفردية " هو افضل قناة لدراسة فوارق السلوك والتعابير الفردية وما ورائها من عمليات عقلية ونفسية وديناميكية تؤدي الى وضوح حقيقة الأختلافات في الآراء والتعابير والسلوكيات والميول والرغبات ،وهي حقيقة ثابتة مع حقيقة وجود الفرد [١]

ثانياً : أعتبار حق حرية الرأي والتعبير معرف بواجبه المقدس بأحترام حرية التعبير والراي الآخر ، ويحتم عليه ذلك الألتزام بمبدأ المجادلة والمناظرة والمناقشة مع الأخرين مهما كثر أو قل عددهم سواء أتفقوا أو تخالفوا معه ، لأن كيفية التعبير عن الموضوع الموصوف تختلف من فرد لأخر بموجب أختلاف حجم وقوة المؤثرات النفسية والروحية والمادية المكانية والزمانية عليه أضافة الى طبيعة المكونات الشعورية واللاشعورية في ذات النفس ، فقد يصف أحدهم الموضوع المطروح بشكل جزئي وآخر بشكل منفصل عن سياقه التاريخي والمستقبلي وثالث يصفه بشكل خاطئ ورابع يصفه بشكل مضطرب ومشوه لمرضه العصابي وخامس يصفه بموجب تقرير حواسه الغريزية والنفعية فقط ، وهنا يظهر ما يسمى بالأدراك المنقوص أو المشوه أو الخاطئ الذي لايستقيم إلامن خلال مسؤولية المجادلة والمناقشة والمناظرة الواقعة على حق حرية الرأي والتعبير ، ناهيك عن تأثيرات الوعي المتغيره بموجب مديات أكتساب المعرفة وأتجاهاتها وتوظيف فاعليتها ، ولكن المهم هنا ليس دراسة أنواع الأراء والتعابير وتركيباتها أو بنائها ورسم اهدافها ، بل المهم هنا هو معرفة الأسباب والوقائع التي أدت الى ظهور مثل هذه الأراء والتعابير وبالذات بعد تعاظم شأنها في بناء الأنظمة السياسية الديمقراطية ، ولماذا أعتبرت كحق طبيعي وليس كحق تمنحه الأنظمة السياسية أو المجتمعات الأنسانية في فترات زمنية محددة وكلٍ حسب ظروفه الموضوعية ؟ وهل هذا الحق مطلق أم أن الواجب والمسؤولية المعرفة ضمناً ومنطقياً مع حق حرية الرأي والتعبير تلثم ذلك المطلق من هذه الحرية مطلباً في تحويل عالم الأراء والتعابير والخيارات والخطط والمناهج من سوق فوضوية لتضادها وتنافرها الى نظام لأستخلاص الانفع والافضل بالمشاركة والمفاعلة لغايات النفع الخاص والعام ووفق الأسس :

١- أساس المحافظة على أحترام حرية الرأي الآخر .

٢- أساس المحافظة على أحترام القيم والمثل المشتركة .

٣- أساس المحافظة على أحترام المصالح المشتركة والحقوق والحريات الفردية والجماعية .

---

[١]- أنظر د.حامد عبد السلام زهران –علم النفس الأجتماعي–عالم الكتب–القاهرة– ١٩٧٧ص٣٠–ص٣١.

٤- أساس المحافظة على أحترام سلامة بناء المجتمع وتطوره .

وهذه الأسس تشكل المضمون القانوني والأعتباري للمسؤولية رديفة حق حرية الرأي والتعبير وبدونها ستكون عملية التلقي والأستجابة والأسترجاع للطروحات والأراء والشعارات والأفكار مهمة مستحيلة لفقدانها القدرة على تطبيق أو تنفيذ أي منها بسبب الموجات المتلاطمة لأتجاهات الأراء المتعاكسة ، لذلك أوجدت المجتمعات الأنسانية الثوب الخاص لذلك في "العقد الأجتماعي" لجميع الأطراف والكتل والجماعات المؤثرة في المجتمع ، وهنا نفسر بأن أستقلالية الفرد في حق حرية الرأي والتعبير مرهونة بمسؤوليتهِ عن تعابيره وأرائه ، وفي حالة تمسك الفرد بحق حرية الرأي والتعبير بدون التمسك بالمسؤولية تجاهها تدفعه الى :

١- حالة الأغتراب داخل المجتمع بشكل منعزل .

٢- حالة الأغتراب خارج المجتمع بشكل الهجرة ([1]).

وكل هذا يرتب التزاماً قانونياً وقيمياً قائم على :

١- لاشرعية لأدعاء أحتكار المعرفة والأدعاء بالرأي الأصوب دون الأراء الأخرى .

٢- لاشرعية لفرض قيم أو مثل فردية أو فئوية على الأخرين لطبيعتها الخاصة في التفحص والأختيار .

٣- لاشرعية للخلط بين الحق الخاص للفرد وبين الحق العام ، والمفاضلة دائماً تكون في حالات الحكم في المنازعات للعام .

ولعل أفضل مثال قريب وشامل لهذا الموضوع هو ماذهب إليه زعيم المدرسة الواقعية "أوجت كونت" عند معالجتهِ لتصارع الأراء والأفكار وأضطرابها وأنعكاس ذلك على أضطراب المجتمع الفرنسي لأضطراب عقليات أفراده ، فأقترح خطتهِ القائمة على الأحترام العميق لحق حرية الرأي التعبير للأفراد مع المسؤولية لوجود مجموعة من العقائد المشتركة مع أراء وأفكار الأخرين ([2]) ، ومن هذا الحق أيضاً ركز العالم الاجتماعي المعروف " دوركهايم" على عمق الملاحظة والتفسير للتجسيدات الفردية السلوكية النفسية عند دراسة الواقعة الاجتماعية أي دراسة السمة الملازمة للواقعة والسمة المميزة لها ([3]) ، فالمجتمع المعافى ،هو مجتمع الافراد المعافون ، والمجتمع المتماسك هو مجتمع الافراد الميالون للتعاون والتعاضد ، والمجتمع المتطور هو مجتمع الافراد الساعون نحو الابداع كهدف علمي وعملي وكقيمة اخلاقية تحدد قياس المفاضلة بين الافراد ، وبذلك تصبح السياسة الداخلية المتينة نتاج النظام السياسي المتين والفاعل الذي يملك الحضور المؤثر في البيئة الدولية صوب تحقيق مصالح غايات المجتمع ، ومن هنا تأتي المسؤولية القانونية والاخلاقية على النظام السياسي لحماية واحتضان حق حرية الراي والتعبير للفرد .

---

[1] ١- عادل ظاهر – الأسس الفلسفية للعلمانية – دار الساقي – بيروت ١٩٩٨ ص٣٧٨ .

[2] د. محمد علي ريان – الفلسفة ومباحثها – دار الجامعات المصرية – ١٩٧٢ ص١٢٣.

[3] - انظر عبدالله أبراهيم – علم الاجتماع – السوسيولوجيا – المركز الثقافي العربي – بيروت – ٢٠٠٦ ص٩٥ – ص٩٦ .

المبحث الأول

المؤثرات الذاتية على فروق الرأي والتعبير

ونقصد هنا المؤثرات النابعة من داخل ذات الفرد والمتفاعلة مع محيطه وتشكل الخاصية الموجهة لمدركاته وسلوكه وتعابيره وأرائه وميوله ، والمؤثرات الأدراكية مركبة ومعقدة وتشمل مركبات وراثية ونفسية وعقلية وحسية وأنفعالية وسلوكية مستقرة في ذهنية الفرد ، وبواسطتها يتمكن الفرد عن التعبير في مجتمعه من شرح لمتوافراته المادية والوجدانية وترجمتها الى رموز ومفاهيم كلامية وفعلية ، وطبيعية هذه المركبات انها لاتتصف بالتطابق بين فرد وآخر ، ولكنها عند الفرد الواحد تكون أندماجية لتؤلف فكرة ورأيه وتعبيره ، وتلعب المعارف والعلوم المكتسبة والتجارب والذكريات دوراً مهماً في تطويرها وتهذيبها والمؤثرات الأدراكية موجودة ويدرك جزء منها الحس الفطري للفرد وجزء آخر تحتاج الى بعض الادوات للكشف عنها بيد ان وجودها لاينكره أي عاقل ([1]) .

والمهم هنا دراسة وبحث أسباب عدم تطابق هذه المؤثرات على ذات فردين أو جماعتين ، حيث اثبت العلماء (لو ربطت علاقة واحدة بين فردين بالتساوي في خاصية فلا يمكن أن تسود هذه العلاقة في كل الخصائص ، ويضل الافراد مختلفين حتى لو كانوا من فئة واحدة أو من عائلة واحدة ، في الخصائص العقلية والسلوكية ، ولكن يمكن قياسها ، أي قياس مديات الفروق في الأراء والتعابير بموجب أنعكاسات فروق المؤثرات الأدراكية وتصنيف الأراء المتقاربة مع بعضها بعيداً عن الاراء البعيدة عنها ثم أتخاذ القرار الحاسم في كيفية التوفيق بين هذه الأراء في مجالاتها المعنية بعد أن يوضح القياس الاراء الشديدة الأنحراف أو الناقصة أو المشوهة ، ومن أهم عوامل المؤثرات الادراكية :

أولاً : العوامل الوراثية Heredity Factors :

تعرف الوراثة بانها مجموع الجينات Specific genes (الموروثات) التي تنتقل الى الفرد من أبويه عند لحظة الاخصاب التي هي تلقيح الخلية الجرثومية التناسلية التي تفرزها الأنثى ((البويضة ovum)) مع الخلية الجنسية الذكرية الموجودة في المني ((النطفة sperm)) وقبل الدخول في حقائق الفروق وأثر عملية الاخصاب فيها، بأن طبيعة أنفعالات المرأة وأن أختلفت ما بين أمرأة أخرى تتخللها درجات مختلفة من الخوف والفرح والتأمل في المستقبل والهاجس من الصحة لها وللجنين تؤثر على ((البيئة الخلوية)) لأنها المسؤولة على رعاية الجنين حتى الولادة ، ((والبيئة الخلوية)) لها تأثير في المدركات اللاشعورية للفرد لاحقاً ([2]) كما وأن عملية الاخصاب قبل تشكيل ((البيئة الخلوية)) تتسم بما يلي :

١- كل فرد يتلقى تجميعاً مختلفاً من هذه الموروثات في البيئة الخلوية ، بأستثناء التوائم المتطابقة " Indetical Twins " وهذه الموروثات (المزيج من الجينات) تتجمع على

[1] أنظرد. محمد عودة الريماوي – سيكولوجية الفروق الفردية والجمعية في الحياة النفسية دار الشروق – بيروت ١٩٩٤ ص١٠٨ .

[2] د. علي زيعور – تبصرة في مدرسة التحليل النفسي والاناس للذات العربية – دراسات عربية – العدد (١) لسنة ١٩٨٩ ص٨٩ .

الكروموسومات (الصبغات) وهي وحدة أساسية في نواة جسم الخلية التي تحمل العوامل الوراثية والخلية تتكون من ٤٦ كروموسوماً نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم .

٢- كل خلايا الجسم تحصل على أنقسام متوازن لكروموسومات طولياً بشكل متطابق بعد تكونها وهذا الأنقسام يولد الخلايا النوعية (خلايا العين – خلايا المخ – خلايا الأوردة . . . الخ) وتعيش الخلية الجديدة في بيئة خلوية cellular environment ممثلة في الجاذبية والضغط وتوافر الأوكسجين والمواد الكيمياوية ومجالات كهربائية تؤثر تأثيراً مختلفاً على الخلايا النوعية الجديدة الناتجة من عملية الأخصاب بين الذكر والمرأة ، لتحصل كل خلية نسبة من وراثة متطابقة ، ماعدا الخلايا الجنسية (البويضة عن الأنثى والنطفة عن الذكر) ذلك أن نوعاً مخالفاً من الأنقسام لكروموسومات ((الصبغات)) يعرف بالأنقسام الأرجاعي أو الأختزالي Reductional devision ، وأمتزاج الخلايا بالأقسام الغير منضبط والمختلف دائماً لكروموسومات ((الأنثوية والذكرية)) يسبب بأختلاف ميكانزم الوراثة ومظاهر الجنين ، لكن في حالات عدم انقسام هذه الكروموسومات وتناقلها يؤدي الى أنجاب أطفال معاقين ([1]) .

وهنا ملاحظة مهمة لعلماء الهندسة الوراثية أن الموروث يحدث دائماً مع وجود موروثات اخرى قد لاتظهر على الجنين ولكنها قد تظهر على حفيده او ما بعد حفيده وهذا مايسمى بالنمط الظاهري والنمط الوراثي .

العوامل الوراثية لاتعطي تشابهاً أو تطابقاً للإفراد ، لأن الجنين يأخذ العوامل الوراثية من اسلافهِ بتفاعل غريب ومعقد لايتجدد مع جنين آخر لتأكد كلام الله تعالى (كل نفس لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت) .

*البيئة الخلوية هي أول بيئة تؤثر في النمو المستقبلي للجنين الذي سيصبح فرداً من المجتمع وان طبيعة أنقسام الكروموسومات وتفاعلها مع الموروثات الكيميائية داخل هذه الخلية مختلفة وغير نمطية .

*أن بيئة الرحم التي تحل بعد البيئة الخلوية في رعاية الجنين الذي سيصبح فرداً في المجتمع ، تتعرض لمؤثرات مختلفة غير نمطية ، من أختلاف نظام الأدوية ، وللأغذية ، نسب تعاطي المخدرات ، حالات الأنفعالات ، قوة وضعف الأحاسيس – أختلاف الأعمار عند الحمل . . . كلها تترك أثار عميقة ومختلفة على كيفية تكوين الجنين ([2]).

العوامل البيولوجية والخصائص البنائية Constructional charcterstics

عند دخولنا لمجال علم النفس لمعرفة دور السلوك والعمليات العقلية والعمليات الأنفعالية في الفروق الفردية وتبأين الأراء ، فأن الخصائص البنائية للفرد هامة

[1] د. محمد عودة الريماوي م. س. ذ. ص١٠٧

[2] المصدر نفسه ص١١١.

جداً بما تصفه من قبول على هذا السلوك وتلك العمليات ، فالقطه لاتستطيع الطيران لأنها بدون أجنحة والطفل ذو الغدة الدرقية الكسولة بطيء الحركة بليد ، ولكن هذا لايعني أن الخصائص البنائية وحدها هي التي تحدد ظهور السلوك أو عدم ظهوره ، كما أن عدم ظهور سلوك مالايعني بالضرورة وجود نقص بنائي ، ولما كانت الخصائص البنائية للفرد ذات علاقة بالوراثة وهي في نفس الوقت نتاج عوامل بيئية ، فان دراسة العوامل البيولوجية بشكل أو بأخر دراسة للعلاقة بين الوراثة والبيئة ، والخصائص البنائية هي وسيط متفاعل بين الوراثة والسلوك ((الخصائص الوظيفية لتنفيذ تعابير السلوك والرغبات ([1]) والافعال . . .)) وهي وسيط أيضاً بين الوراثة والبيئة والخصائص الوظيفية Functional characterestices .

بيد أن المهم هو غياب أنماط محددة لعمليات التفاعلات بين الخصائص البنائية والوظيفية في العوامل الوراثية أو البيئية الداخلية والبيئة المحيطة بالمولود بعد الولادة ، هذا ما يؤكده البحث والدراسة في مجمل هذه الخصائص البنائية التي هي التجهيز الجسمي للفرد وما بين الخصائص الوظيفية التي هي السجل الأستجابي لما يتعرض له الفرد في بيئته الأجتماعية .ولهذا دوراً رئيسياً في المستقبل في رسم الاراء والميول والرغبات .

الجهاز العصبي Nervous system :

المدخل من الجهاز العصبي هو الأسلم لمعرفة أدق لتأثير الخصائص البنائية على الوظيفة والوراثة والسلوك ، رغم أن الكثير من العلماء يركزون على وظائف الجهاز العصبي البايولوجية في حركات الجسم ، والقلب وتدفق الدم في الجسم وحركة الكريات البيضاء للدفاع عنه ضد أي طارئ وعمليات الأبصار والسمع والهضم . . . الخ)) بينما يرى البعض إن هذا النشاط يظل ضمن مجال علم النفس ، الذي يهمنا منه هو ذلك الأثر الذي يضفي على حرية الرأي منزلة الحق الطبيعي والذي سيكون دالة واضحة في ([2]) هذا الأتجاه وبشكل دقيق في علم نفس الفروق الفردية.

لنأخذ على سبيل المثال صراخ الطفل وهو نشاط عقلي فطري ، كل الأطفال يصرخون فور الميلاد وما بعده فيهيأ لنا أن هذا السلوك هو واحد لدى الجميع ، إلا أننا لو استخدمنا الأجهزة الأدق للتفريق بين النغمات لتبين الفرق وحتى الرضاعة فهي عمليات (المص – والبلع – والعض) يهيأ للمراقب لها أن كل الأطفال يرضعون بنفس الكيفية ، إلا إن تحليل ذلك يلاحظ الفروق في قوة أو ضعف السحب والعض والبلع ([3]) .

التموضع : Localization

والتي مفادها أن كل مجال سلوكي مرتبط بموقع خاص بالدماغ :

---

[1] منطقة اللحاء – وظيفة الحس والحركة وللسيطرة على مناطق الجسم .

[2] د. محمد عودة الريماوي م. س. ذ. ص١٢٠ .

[3] د. محمد عودة م. س. ذ. ص١٢٢

١-أطلق سيغموند فرويد على الجهاز العصبي ((مهمة السيطرة على التنبيهات)) – لمزيد من المعلومات – أنظر علم ما وراء النفس – ترجمة جورج طرابيشي – دار الطليعة – بيروت ١٩٧٩ ص١٢ .

٢-الفصيان الصدغيان وظيفة تفسير الخبرات الحسية ، فقدانها يفقد صاحبها القدرة على ربط الأفكار .

٣-المناطق ما قبل المقدمة وظيفة تعلم المهارات المعقدة والتركيز والتخطيط .

٤-المهبد وظيفتهُ ضبط الوظائف اللاإرادية .

٥-المهاد – وظيفتهُ ربط وتصنيف وتنسيق التنبهات .

٦-الجهاز الطرفي – وظيفتهُ السيطرة على العلاقة بين الجسم والعالم الخارجي .

٧-الجهاز العصبي الذاتي والجهاز السمبتاوي – وظيفته السيطرة على ضغط الدم وأفرازات وحركة المعدة والأمعاء ، والبول والعرق وتنظيم حرارة الجسم وضربات القلب وعمل العين والرئتين ، أما الجهاز الباراسمبثاوي فيقوم بأفعال معاكسة للجهاز السمبثاوي ([١]) مما تقدم أكبر العلماء أن للجهاز العصبي وظيفتين مركبتين الأولى ذات تنبيه فسيولوجي متفاعل مع الخارج والأخر نفسي من داخل بدن الذات الفردية ([٢]) وكلاهما غير متطابقتين بين فرد وأخر .

وخلاصة القول المتعلق بموضوعة بحثا أن طبيعة وظائف التموضع للدماغ لاتسمح ولاتستطيع بأن تستنتج نفس الأحاسيس والأنفعالات عندما يتعرض مجموعة من الأفراد لمنبهات حياتيه من نفس المستوى والحجم وفي وقت واحد .

ولعل تجارب قياس سرعة ذبذبات الموجات الكهربائية للدماغ تؤيد ذلك وقد صنفت الى عدة مستويات ((والمستوى الأول يحتوي على أجزاء عديدة في نطاقه))

١- المستوى الأول سرعة ذبذباتهِ ١٤ فأكثر/الثانية يطلق عليه Beta .

٢- المستوى الثاني سرعة ذبذباتهِ ٧-١٤ / الثانية يطلق عليهAlpha .

٣- المستوى الثالث سرعة ذبذباتهِ ٤-٧/ الثانية يطلق عليه Theta .

٤- المستوى الرابع سرعة ذبذباتهِ ٤/ الثانية يطلق عليه Delta .

وكلما أنتقل الفرد من المستوى الأول الى المستوى الثاني والثالث والرابع فهو يقدم أنتاج عقلي متميز أكثر ، رغم أن التطور من المستوى الأول الى الثاني نادر والى المستوى الثالث والرابع أكثر ندرة ، وهذا ما يفسر تركيز الباحثون على الأبعاد العميقة التي لا تنالها الوسائل الحسية والأدراكية البسيطة ([٣]) وتعطي تأكيداً أكثر لطروحات علم فروق النفس الفردية التي تؤكد الفروق في الأراء والتعابير فترفعها الى مستوى الحق الطبيعي المتأتي مع طبيعة النفس البشرية .

---

[١] د. محمد عودة م. س. ذ. ص١٢٩.

[٢] سيغموند فرويد – م. س. ذ. ص١٠.

[٣] د.صالح الجابري – خارقية الأنسان – الباراسايكولوجي من المنظور العلمي – النفس والحياة العدد ١٨ – كانون الأول ٢٠٠٤ ص٣٤ .

من مظاهر الأبعاد العميقة في الذات النفسية المؤثرة في الرأي والتعبير :

المظهر الأول الذاكرة : هي وعاء البقاء ، وخادمة الزمان التي تحفظ لنا الكثير من صور الماضي المتراكمة لكي تكون لنا عوناً في حياتنا ، وكلما أتسع مدى الحياة وتراكمت المعارف والتجارب مع سلامة وظيفة الذاكرة والبيئة الخلوية والرحمية وسلامة التنشئة والأعداد كلما أتسع نطاق صواب الأختيار ودقة الرأي

وخاصة عندما يتعرض الأنسان الى مؤثرات تستدعي منه سرعة الرد والأختيار لتلبية المناسبة وسلطان اللحظة ، فالذاكرة سوف تسعفه حيث يتم أستدعاء الصور الذهنية القريبة والمتشابهة للصور الذهنية الحاضرة والتي تطلب لها سرعة الرأي والأختيار ([1]) ناهيك عن دور الذاكرة المهم في أحلال التوازن المطلوب عندما تحاول الضرورة اللاشعورية التي لا تراعي الواقع الزماني والمكاني في أبداء الرأي والتعبير ، فما تحتويه الذاكرة من كم هائل مخزن من الصور والذكريات الواقعية يعطي للنسق الشعوري الدور المهم في القرار الواقعي ([2]) .

المظهر الثاني الرغبة : أحساس يحسه الفرد ويدفعه نحو أنجاز عمل ما مرتبط بالدافع ، والدافع حاله داخلية قد تكون جسمية أو نفسية تقوم بأثارة سلوك الفرد وتعمل على توجيه هذا السلوك ، وأستمراره حتى تتحقق الأهداف ويتم التوصل الى الغاية ([3]) ولها دوراً مهماً في أخراج نوعية وأتجاهات التعابير والأراء ، وأن كان تعريف فرويد للرغبات الباطنية والظاهرة مرتبطة أكثر بلغة الغرائز ، وأرسطو أعطى الأولية لأساس الرغبات للمعرفة والمنطق ، والماديون عرفوها بأساس رغبة الفرد بما يرغب الأخر ، أي بوجود تفاعل مادي للرغبات بين الأفراد ([4]) ، نجد المحدثون عرفوها بجميع هذه المكونات أي بالغرائز والعقل والنفس والمعارف وبطبيعة تواجد الأشياء في المحيط الفردي ، وهذا يفرز ما ذهبت إليه حقيقة عدم تطابق الرغبات بيد أن الرغبة السوية التي تدفع الفرد للتعبير عنها والأجتهاد في الوصول لتحققها هي التي يقيمها مستمعين ومؤيدين أكثر من العازفين عنها والرافضين لها وخاصة عندما تكون متخلصه من عقده الغيرية المتطرفة لرغبات الأخرين والبعيدة عن الأنطواء على الذات والتي تكون سيداً مسيطراً في داخل النفس الفردية وتمارس الأتهام المستمر على أراء وسلوك الأخرين دون أن تستطيع أن ترتقي الى القدرة التي تقدم الأفضل ، كأنها تعيش وفي داخلها صوط السيد علي العبد ، صوط الأحساس المنحرف على الجسد فلا تجد لها متنفسا مع الجماعة لطبيعتها الشاذة عن رغباتهم المتنافرة مع منظومتي الأخلاق والقيم التي تكونت وتجذرت في عمق التاريخ المؤثر وعبر أجيال عديدة ومن هنا يأخذ الرأي المعبر عن رغبه ذاتية فردية أطار المسؤولية تجاه الجماعة في نوع الرغبة وأتجاهها ومدى التأثير الذي ستلحقه على رغبات الأخرين ومنظومتهم

---

[1] **وول ديوارنت – قصة الفلسفة م. س. ذ. ص٥٥٩**

[2] لمزيد من المعلومات أنظر سيغموند فرويد م. س. ذ. ص ٧٤ – ص ٧٥ .

[3] قيس مغشغش السعدي – الروح المعنوية – دار الحرية للطباعة بغدا ١٩٨٣ ص ٤٣ .

[4] **أنظر محمد علي أبوريان – الفلسفة ومباحثها – م. س. ذ. ص٤٥ – ص٤٦ .**

الأخلاقية والقيمة ، وهذا يتناغم مع حق حرية الرأي والتعبير المحددة بالمسؤولية أزاء حق وحرية الرأي والتعبير للأخر .

المظهر الثالث الميول : أنها أيغال في الناحية الشخصية الذاتية ، لتدلنا عن العالم الشخصي لذات الفرد النفسية ([١]) فنجد الفرد الذي لايحمل ميولاً واضحة بسبب غياب الشخصية المحددة الملامح والأتجاه هو الذي يعمل دون الأتصال بزاوية من زوايا محيطه ، والفرد المشارك في أمر من الأمور الذاتية أو الجماعية أنما يعبر عن ميله بالأتصال بمحيطه في المجال المنسجم مع هذا الميل ، فالأول قليل المبالاة بما يحدث وسواء عنده هذه النتيجة أو تلك ، أما الثاني فهو مرتبط بما يقع ، بل قد يكون مصيره الى حد ما على ما تنتهي به الحوادث ، وتلعب عمليات التفاعل بين الفرد والجماعة دوراً مهماً في أتجاه وتهذيب الميول وكما عبر جون ديوي أن أراء الناس ((العامل المتفرج)) مهمة في أتجاه وأنحراف الميول الفردية ([٢]) كما وأن للأعمار دوراً مهماً في تصوير الميول ونوعيتها ، فميول أعمار المراهقين هي ليست ميول الشباب أو الشيوخ ، ويحكم الأستعدادات النفسية والمؤثرات المحيطية على ذات النفس الفردية تنوع الميول الى نظرية وفنية وعلمية وثقافية . . . ([٣]) الخ ، عن المؤثرات النفسية والحسية والعقلية لذات الفرد فقد أكد عليها معظم الفلاسفة والباحثون ولكن بدرجات مختلفة بالشكل الذي يجسد حقيقة الاختلاف الفطري للميول ثم للأداء عند جميع الأفراد ، فجماعة المذهب العقلي يؤكدون أولية تأثير التفاعلات الفيزيائية لوظائف العقل الموضعية التي تستجيب للمنبهات الداخلية والمحيطية للفرد على أرائه وتعابير وميوله ، أما جماعة المذهب الحسي فيعطون هذه الأولية للحواس (الستة) ([٤]) ، أما جماعة ((أغواء الروح)) المؤيدون للتمسك بالروحانية والأفراط بها بسبب الضغط الكبير الذي يهب من الروح على العقل لتحصل فيزيا الروح لتحل محل فيزياء العقل، وبالتالي نفقد الأستدلال العلمي والعملي والحسي لتفسيرسلوك وأراء جماعات بشرية وهذا ما يفسر جنوح مجاميع بدائية في بقاع عديدة من الأرض الى أنتهاج سلوك معين يعتبره الأخرون سلوك غريب لايستسيغونه ، ولكنهم لايفهمون طبيعة الضغط الروحي الذي وقع على داخل النفس الذاتية لأفراد تلك المجاميع ([٥]) .

بيد أن المهم هنا (أذا كان العقل يلعب الدور الأول في الكيفية التي يضاع بها آراء الأفراد وتعابيرهم أو كانت الحواس هي التي تلعب الدور الأول في ذلك أو وجد هنالك من يؤيد بأن الأغواء الروحي بأخذ هذا الدور فالنتيجة التي تخص بحثنا المتواضع هذا هي (أن الفروق الفردية في الأراء والخيارات والتعابير والرغبات والميول حقيقة يجب أحترامها والألتزام بها والأستفادة منها في بناء

---

[١] –هكذا عرفها الأستاذ أسماعيل القباني عند نقده لجون ديوي عن (الميتافيزقيا) الفكر المعاصر – العدد ٤٥ لسنة ١٩٦٨ ص٢٢

[٢] * المصدر نفسه .

[٣] * أنظر د. حامد عبد السلام زهران – علم النفس الأجتماعي م. س. ذ. ص٢٧٤ ، كذلك د. قيس النوري المدخل الى علم الأنسان – جامعة بغداد ١٩٨٢ ص٣٢٢ .

[٤] –أنظر محمد علي أبو ريان – الفلسفة ومباحثها م. س. ذ. ص٥٤ كذلك وول ديوارنت م. س. ذ. ص٥٨٢ .

[٥]

المشتركات العامة للعمل الجماعي ، وأن نعمة الله سبحانه وتعالى في خلق ذلك التنوع في ألوان الزهور ومذاق الأطعمة وسخونة وبرودة الجو وأرتفاع وأنخفاض الأرض ومستويات المياه وأنواعها في المسطحات المائية وغيرها الكثير من الحقائق الجيولوجية والأحيائية كانت وكأنها محاكاة لخلقه العظيم للأنسان وزرع الفروق بينهم ، محاكاة تقود الى المناظرة مع هذه الفروق ، تبدأ من الذات ومن الضمير أي من النفس المادية والمعنوية ((الروحية)) ، وفي الذكر الكريم مناداة للأنسان بعنصري المادة والروح حيث جاءت مفردات ((النفس)) بهذا المعنى في العديد من سور القرآن الكريم .

" إذا النفوس زوجت . . . " " يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً " " الله يتوفى الانفس حين موتها" " وكل نفس ذائقةٍ الموت " ([1]) .

وعن محاكاة أعماق الذات في الضمير واللاشعور ، نجد معنى الأية الكريمة " وإذا المؤودة سئلت ، بأي ذنب قتلت " يخاطب الذات والضمير ، لأن المولودة لاتنطق ، وأن ضمير وآد البنت يطرح على السطح العمل الفضيع ، لأنه أعتداء على بعض منه والذات يخاطب نفسه عن قساوة العاطفه عن جريمة كان صاحبها سبب مجيئها بعد أن تمتع بلذة وسيلة الأتيان بها مع بنت ناضجة ، ستكون الضحية مثلها عندما تنضج ، وبذلك يكون هذا العمل الشنيع أقداماً لميلاً يخالف رغبه ويخالف العقل ومنطق الأحاسيس ([2]) هذا الاختلاف أنتبه اليه مبكراً العالم الأجتماعي العربي أبن خلدون وأثره في أختلاف السلوكيات والعادات والقيم للجماعات والامم بسبب تنامي أتساع دائرة الفروق الفردية الشعورية واللاشعورية ، فذكر في مقدمة كتابه ((أعلم أن الله سبحانه وتعالى أعتمر العالم بخلقه وكرم بني أدم بأستخلافهم في أرضه ، وثبتهم في نواحيها لتمام حكمتهِ ، وخالف بين أممهم وأجيالهم أظهاراً لأيانه ([3]) .

المبحث الثاني

مؤثرات العوامل البيئية المحيطة Enviromental Factors

لم تعد السياسات الداخلية والخارجية أو تلك المتعلقة بطبيعة النظام السياسي بعيدة عن التأثير والتفاعل المتبادلين مع مبادئ حقوق الأنسان وبالذات مضامين حق حرية الرأي والتعبير ، وهذا الحق الفردي خاضع لجملة معقدة من الفروق النفسية والمادية تضفي عليه صعوبة في تصنيف

---

[1] أنظر محمد متولي الشعراوي – المختار من تفسير القرآن العظيم "بأجزائه الثلاثة" المكتبة الشرقية – بغداد – ص١٣٣ .

[2] – المصدر نفسه ص١٢٨

[3] – ولد أبن خلدون ٧٣٢هـ ١٣٣٢م – لمزيد من المعلومات أنظر تاريخ أبن خلدون – المكتبة التجارية الكبرى – فاس – – المغرب ج١ ١٩٣٦م ص١ – ص٢ . [3]

الأراء دون دراستها وتحليلها ، فكيف يولدون وكيف يأكلون وكيف يلبسون ويكتبون ويقرأون ويعملون ويتجارون ويصنعون ويتفاهمون ويتصارعون ويختلفون ، وكيف يتعلمون ويفكرون . . . وغيرها من الكثير من المفردات السلوكية كلها عوامل مؤثرة في أتساع وتعميق الفروق النفسية لتنعكس على الفروق في الأراء والتعابير والخيارات .عند تكوين أتجاهات الرأي العام والنظام السياسي .

والبيئة المحيطية ليس المقصود بها هنا بالعوامل الجغرافية أو الثقافية أو المعيشية النابعة منها ، بل العوامل النفسية للمجموع الكلي الذي تلقاه الفرد منذ لحظة الولادة من بيئه رحم الأم الى بيئة رحم المجتمع الى الوفاة ، أي البيئة النشطة التي تقوم بدور المثير لمنبهات الفرد ، والتي تحمل الأختلاف بالحجم أو يزيد عن أختلاف الفروق النفسية في رحم الأم ، وبعد أثبات هذه الفرضية نحصل على تأكيد لطبيعة الفروق الفردية في السلوك وفي الأراء والأختيارات لنفسر لماذا جاء حق حرية الرأي والتعبير كحق طبيعي لايمكن الأستغناء عنه وهذه الفروق واضحة ومستمرة تضيف عليها متغيرات في المسارات والأتجاهات طبيعة التغيير الأجتماعي والنمو الاجتماعي Social Crawth الذي يخضع إليه الوليد الى الوفاة وتتناقله عناصر الثقافة من جيل لجيل ([1]) مع نتائج هذه المتغيرات .

النمو الأجتماعي من الطفولة الى المراهقة :

النمو الأجتماعي مظهر من المظاهر الأخرى للنمو (النمو الجسمي والفسيولوجي والعقلي والأنفعالي) هذه المظاهر متماسكة متداخلة ، بيد أن النمو الأجتماعي من الطفولة الى المراهقة ثم الرجولة يلعب الدور المهم في المؤثرات النفسية التي يتطلبها النمو النفسي للفرد في تقبل الذات وتحقيق الذات وتقبل الواقع وعدم الشعور بالأغتراب عنه وشدة الأنتماء الى البيئة "الوطن" وتكوين أتجاهات وقيم سليمة مع الجماعة ، والتقدم المستمر نحو السلوك الأكثر نضجاً بمساعدتهم ([2]) .

وتظهر ملامح الشخصية مع بدايات النضوج هذا في حدود البيئة المكانية والزمانية مع الأخرين عند أعمار المراهقة وتلعب عمليات النمو الأجتماعية في الطفولة الدور المهم فيها ، فالأستمتاع بالحياة وأحترامها ومحبتها وتوسيع دائرة الميول والهوايات وزرع أو تنمية المهارات والتطابق مع منظومة الأخلاق وعقائد الدين ، ومبادئ الجزاء على الأخطاء والثواب على الألتزام كل ذلك يخلق أستعدادات أولية للطفل عند أنتقاله الى مرحلة المراهقة وعكس هذه العمليات يخلق أستعدادات أولية معاكسة

١- د. عبد الراضي أبراهيم محمد عبد الرحمن – دراسات فلسفة التربية المعاصر – دار الفكر العربي – القاهرة ٢٠٠٢ ص٥ .

١

٢

٢- أدوار س. بانفليد – السلوك الحضاري والمواطنة ترجمة سمير عزت نصار – دار النسر للنشر – عمان ١٩٩٥ ص ١٣ .

للطفل تظهر ملامحها التي تكاد تكون ناضجة في مرحلة المراهقة ، ولكن في مجمل هذه الأستعدادات والملامح هنالك فروق في السلوك والتعبير لايتطابق في معظم الأحيان لمرحلة النمو للأطفال أو المراهقين . بسبب غياب التطابق القائم للنمو الاجتماعي في مرحلة الطفولة تجميع الافراد .

الطفل كائن أجتماعي ينمو في أطار أجتماعي منذ اللحظة الأولى للولادة وتعتبر الأم أهم عامل أتصال في عملية النمو هذه وكذلك الأب وأقرب المحيطين للوليد ، ظاهرة الرضاعة للأطفال عامة ، وظاهرة الصراخ والأصوات المبهمة وغير الأرادية عامة، بيد أن نوعية وكمية الحليب غير متطابقة وأثار الأنفعالات النفسية لعملية ((اللمس)) بين الأم والمحيطين بالوليد غير متطابقة ونوع وحجم الحنان والمداعبة والمرافقة غير المتطابقة ، وطبيعة عمل ونشاطات دور الحضانة في المناطق الجغرافية غير متطابقة وأثار السياسات الأجتماعية الحكومية وغير الحكومية الأجتماعية والأنسانية لرعاية الأمومة والطفولة تختلف من حيث حجمها وفاعليتها من مجتمع الى أخر ومن جماعة الى جماعة أخرى ، كما وأن طرق الأحتفالات والعادات والتقاليد في رعاية النمو الجسماني والأجتماعي تختلف من جماعة الى اخرى كل هذه الفروقات تعكس فروقات في تأثير المنبهات على نفس الطفل تتضح أثارها عند أكتمال عمليات النمو الجسمي والنفسي للفرد ، وبالتالي تنعكس على فروق الأراء والتعابير والخيارات ([1]) كما وأن أختلاف الجماعات في أستخدام الأدوات التكنولوجية الحديثة مع القيم الحضارية والأخلاقية في عملية التنشئة لهذا الطفل أو ذاك هي بطبيعتها تحمل مؤثرات يضيف عاملاً لجملة العوامل النفسية الأخرى في تأكيد حقيقة هذه الفروق ([2]) . فعملية تنشئة طفل في أحضان عائلة ميسورة ليست متطابقة مع عائلة فقيرة لاتستطيع أمتلاك أدوات ووسائل أيضاح تكنولوجية .

مرحلة النمو الأجتماعي الى المراهقة :

لنحلل أهم مظاهر النمو الأجتماعي والنفسي في مرحلة المراهقة وكذلك وصف بعض الحالات الحياتية والمكانية للعوائل والبيئات الأجتماعية الجماعية التي ترتب مواقف حياتية تجاه سلوك المراهقين في المنظور القيمي والتعليمي الذي تؤمن به أو الذي يتمكن عليه أو الذي يخرج من طبيعة موقعها ومكانتها الأجتماعيتين .

أهم مظاهر مرحلة المراهقة :

١- تكوين علاقات جديدة وما يترتب عليه من نشاط أتصالي جمعي جديد Contact ([3]) .

---

[1] لمزيد من المعلومات أنظر د. حامد عبد السلام زهران م. س. ذ. ص٢٣٦ .

[2] وتولد ريبكز ينسكي – ترويض النمر – ترجمة د. فاخر عبد الرزاق – الثقافة العامة – بغداد ١٩٩٠ ص ١٩٤

[3] أنظر لمزيد من المعلومات انظر د. محمد عودة أساليب الأتصال والتغير الأجتماعي –ذات السلاسل الكويت ١٩٨٩ص٦١ – ص٦٢ .

٢- نمو الثقة بالذات وبداية الشعور الواضح بكيان الفرد وتقبل المسؤواية الأجتماعية.

٤- ظهور أهتمامات جديدة بموجب النمو العقلي والمعرفي ويفعل نشاط الأتصال (بين المرسل العائلة أو الجماعة – والمستقبل – المراهق) .

٥- بين أطفال قبل المرحلة التكنولوجية وأطفال مابعد أستخدام أدوات التطور Study case وقد أستخدم المؤلف تأثير التطور التكنولوجي في الهند من ناحية السلوك والأراء في مرحلة التعليم وأكتساب المعرفة .

٦- ظهور بوادر الأهتمام نحو المهنة المطروحة أمامه من المهن المتوفرة في عملية نشاط الأتصال .

٧- محاولة لتحقيق الأستقلال الأقتصادي بعد أتساع رقعة الأحتياجات ومحاولة أشباعها.

٦- الأهتمام بالمظهر ومحاولة بناء الحضور المرغوب والمؤثر .

٧- ضبط السلوك الجنسي بعد نموه بموجب قوة أو ضعف التلقين القيمي والتعليم الأدبي.

٨- الأستعداد لتقبل فكرة الزواج بعد ظهور بوادر الأنجذاب نحو الجنس الأخر .

٩- الميل لمشاركه الأخرين في نشاطاتهم المتاحة أمامه .

١٠- ظهور حب المنافسة وقلق في موازنة الأنانية والأيثارية .

١١- وضوح أو أضطراب في قابلية التركيز .

١٢- عدم تقبل الأوامر يصورة سريعة وطاعة عمياء – حيث تظهر حب الدخول في عملية ((الفهم والأستفهام)) .

١٣- البحث عن الأصدقاء بما يتناسبون والمستوى النوعي النفسي للمراهق .

١٤- وجود مظاهر متباينة للخوف والخجل والأنتقام والتهور بين المراهقين .

١٥- تغليب هوى الروح والعاطفة في التأمل والتعبير على المقياس العقلي والمنطقي. ١٦- بداية لمحاولات جديه للتفاعل مع منظومتي القيم والأخلاق المطروحة أمام المراهق ومع ظهور هامش لمناقشتها أو رفض قسم منها لدى البعض .

١٧- ظهور مظاهر التقليد للأب أو الأم أو لأحد رموز العائلة أو الجماعة بمستويات مختلفة لدى المراهقين .

١٨- ظهور مظاهر متباينة بسبب ظهور ((الرغبة الجنسية)) وهي ضرورة لاشعورية لاتراعي الواقع ومصيرها غير منوط إلا بقوتها المتباينة بين المراهقين ، وتوافقها أو عدم توافقها مع مقتضيات تنظيمها القيمية والأخلاقية ومرتبطه بـ(١) بطبيعة العائلة (٢) بطبيعة الجماعة (١) (٣) بطبيعة القيم (٤) بطبيعة البيئة الوراثية والنفسية للمراهق في البيئة الخلوية ومرحلة النمو الأجتماعي للاطفال .

١٩- ظهور بوادر فهم مجتمعية لطبيعة الحاجات ([1]) الغرائز ومنها حب التملك والسيطرة والتنافس والجنس ([2]) الأمن السوسيولوجي للفرد والجماعة ([3]) تأكيد الذات لتبوؤ مكانه أعتبارية في العائلة والجماعة ([4]) الحاجة لتبادل الحب والمحبة والتودد .

٢٠- بدايات لفهم المعايير الأجتماعية لموازين وقياسات ومرجعية السلوك الجيد من الردئ ([5]) بسبب الحاجة الى المعرفة Social Norms .

كل هذه المظاهر وكيفية التعاطي معها من قبل التركيبة الأجتماعية للعائلة والجماعة والمدرسة ونظم القيم والعادات والتعليم والثقافات السائدة ومؤثرات.

الجوانب السوسيولوجية في الحياة الأقتصادية ((نمط الأقتصاد الريفي – والتجاري والصناعي في المدن))([6]) ومؤثرات الجوانب السوسيولوجية من حجم ونوعية الأستخدامات التكنولوجية الحديثة المرافقة لعملية النمو الأقتصادي للمراهق تعتمد في نهاية المطاف (مبادئ الفهم والتفهم) والأستعدادت البايلوجية النفسية لمرحلة الطفولة والمراهقة مع الناس المحيطين به وطبيعة وحجم المؤثرات والمحفزات المادية والوجدانية الزمانية والمكانية القريبة أو المؤثرة فيه وأهم مضامين هذه المؤثرات :

١- تأثير عام في مجمل المعلومات .

٢- تأثير عام في مجمل الأتجاهات والأفعال .

٣- تأثير عام في مجمل الرغبات والميول .

٤- تأثير عام في مجمل مجالات الأندماج مع الجماعة .

٥- تأثير عام في مجمل مجالات الأنتماء الى البيئة أو الأغتراب عنها .

٦- تأثير عام في مجمل مجالات النمو الأجتماعي النفسي المتوافق مع النمو الجسمي.

وكل هذه التأثيرات تأخذ مديات متباينة بموجب أختلافاتها في التأثير على نفسية المراهق فقد أكد الباحثون أن أستقرار الجماعة وتجانس أعضائها يؤثر على المراهق في ميله الشديد الى تبني أرائهم وتشكل له مرجعات ، والعكس صحيح ، والمراهق الذي ينمو أجتماعياً مع الجماعة والعائلة التي ترفض الجماعات الأخرى وتعيش في بيئة ثقافية نفسية قوامها التعصب ، يتأثر بهم ، وهكذا في تأثيرات العائلات والجماعات الريفية أو المدنية أو الصناعية أو التجارية أو المتنقلة والمستقرة أو الواعية والجاهلة ، لذلك أكد العلماء على أهمية مضامين وأتجاهات عمليات وأساليب الأتصال الأجتماعي للمراهق وتأثيره لأحقاً في أتمام النضج أو أنقاصه وتحقيق الذات أو عدم تحقيق الذات ،

---

[1] سيغموند فرويد م. س. ذ. ص٧٥ .

[2] د. حامد عبد السلام زهران م. س. ذ. ص١٢١ .

[3] أنظر ن. سملر – التطور التأريخي لعلم الأجتماع الأقتصادي في العالم الثالث – ترجمة د. محمد الجوهري – دار المعرفة الجامعية – الأسكندرية ١٩٨٩ ص٣٠ – ٣١ .

[4] محمد عودة م. س. ذ. ص٢١٣

[5]

[6]

تلك الأهمية التي تحمل معها الفروق في أراء وميول ورغبات وأحاسيس المراهقين شخصية ما بعد المراهقة (مرحلة الرشد) : تعرف الشخصية في علم النفس الأجتماعي ، بأنها جملة من السمات الجسمية والفعلية والأنفعالية والأجتماعية التي تميز الشخص عن غيره (٢) وهذه السمات تأخذ قرارها الأخير في مرحلة الرشد أي النضج الأجتماعي المستقر مع جوانب الشخصية جسمياً وعقلياً وأنفعالياً ، ولكن أذا تأخر النضج في أحداها أثر في النضج الأجتماعي في ثراء أرآئهِ وتعابيره ، وهكذا نجد أن المكانة الأجتماعية التي تؤهل الراشد لدوره الأجتماعي هي حصيلة لذلك الأعداد النفسي والعقلي والتربوي لمرحلتي الطفولة والمراهقة ومابعدها ، ونحن نعلم أن المكانة الأجتماعية للمراهق بين زملائهِ مرتبطة بالصداقة والثقة المتبادلة ونجاحه في العمل ومدى أحترامه لنفسه وللآخرين وأحترامهم له ، تتأثر المكانة الأجتماعية بالمعايير القائمة والقيم الساندة وكل ذلك يرتب مسؤولة الراشد في أرائه وقراراته وسلوكه أزاء جماعتهِ ومجتمعه .

في الأتجاهات التالية :

١- الحاجات الأجتماعية ، حيث عليه أن يقرر ماهي حاجاتهِ وما هي أولويات هذه الحاجات على أعتبار أنه وصل لمرحلة من النمو الأجتماعي تؤهله لتحمل مسؤولية خياراته ، ولكن أتضح أن تحديد هذه الحاجات وهذه الأولويات كانت معظمها غير متطابقة لجميع الأفراد ، ولعل المنهج الأحصائي في أبحاث قياس الرأي الذي يتم العمل به في العقود الأخيرة يوضح هذه الفروق ([1]) في خيارات وأراء الأفراد حتى وأن كانوا ضمن بيئة زمانية ومكانية واحدة .

٢- المهن والهويات : نضوج النمو الأجتماعي يؤثر في تطوير قدرة وأندفاع الفرد نحو التخصص في مهارة من المهارات التي يكون لها وعنها معلومات وأراء تجعل منه في حالة نفسية مستقرة لكونه

[1] أنظرد. أبراهيم أمام – فن العلاقات العامة والأعلام – دار الطباعة المرئية – القاهرة المكتبة الأنجلو – مصرية ص١١١ –ص ١١٢ .

مبدع في مهنته ، وفي حالة قيامهِ بالعمل في مهنة محددة دون أمتلاكه للمعلومات عنها ودون طرح أرائه عن تطويرها وأهميتها تجده في هذه الحالة عاملاً أو مهنياً منقاداً لافاعلية له ولا رأي سديد يمكنه من الحصول على الحضور المؤثر مع الجماعة وتعدد المهن والهوايات والأبداعات تشكل لوناً من الوان التوافق الأجتماعي ويحاكي ذلك التنوع الطبيعي للمناخ والتضاريس والنباتات الطبيعية التي تحمل معها أهمية خاصة بها تختلف فيما بينها ، ويحاكي أيضاً التنوع في أستعدادات الذكاء والميول والرغبات .

٣- العادات والتقاليد : مرحلة النضوج الأجتماعي والجسمي والعقلي والنفسي تمد الفرد على القدرة لتقييم العادات والتقاليد والمشاركة الفاعلة في تطويرها أو المحافظة عليها أو على جزء منها أو محاربة الداخلة عليها ، الأمر الذي يتطلب المشاركة والمجادلة مع أفراد جماعته المختلفين معه في درجات ومستويات النضوج وتشكل هذه الظاهرة (ساحة فاعلة) لتفاعل الأراء والتعابير لتصل الى مراحل تكوين الراي العام _المزاج المجتمعي – وهي ساحة تفاعلات نفسية شعورية ، يدخلها بقوة من ترك النضج والوعي والأدراك السليم مع الميل الشديد للعمل مع الجماعة .

الأراء السياسية : في مفهوم الذات حيث تنمو صورة الذات من خلال التفاعل الأجتماعي وذلك من خلال تفاعل الفرد في أطار البناء الأجتماعي ((عمليات البناء الصحي – البناء التعليمي – البناء الأقتصادي – البناء الصناعي . . . الخ)) سيواجه بجملة من الأراء حول عمليات البناء هذه تضعه في بيئة نفسية دافعة لذاتهِ لمشاركة الأخرين في أبداء رأيه كما يراها هو في المواقف السياسية .

وهنا تظهر أهمية النضوج النفسي للفرد ، فأذا كانت تحمل خللاً في تركيبة النضوج هذه ستجده الفرد غير متفهماً)لأراء غيره في المواقف السياسية. أما الأفراد اللذين يتصفون بالثبات الأنفعالي والنضج وقوة الأرادة وتراكم المعارف ومعرفة النفس الأخرى بصورة جيدة، ناهيك عن السمات الجسمية والعقلية الأخرى تجدهم غالباً في المواقع القيادة ([1]) التي تحمل القدرة في تعميم أرائها السياسية أزاء أي موضوع

مطروح للبحث الأجتماعي والسياسي ، أما جماعة عدم النضوج النفسي ذوي الخبرات والتجارب السيئة والصارمة الذين تعرضوا للتعليم والثقافة الهادمين فعالياً نجدهم عرضة لأستغلال الأخرين في تزييف أرائهم وأستلاب حرياتهم .

[1] د. حامد عبد السلام م. س. ذ. ص٢٨٦ .

المبحث الثالث

مسالك المعرفة وحق حرية الرأي والتعبير

لا نريد أن ندخل في دهاليز الإبستمولوجيا ((نظرية المعرفة)) والمهم عندنا فيها الجزء المتعلق بتباين مسالك المعرفة وأثر هذه المسالك في تجذير الطبيعة الفروقية لميول وأراء الأفراد ، فالعالم ((مورفي Murphy)) يقول في كتابه ((الشخصية)) "بأن الذات هي مجموعة الأراء التي يحملها الشخص نفسه "، ولم يوضح كيف يتم تكوين هذه الأراء ، أما العلماء الأخرون المتأثرون بالعامل الأجتماعي مثل ((جي – أ.ج ميد)) فيعتبرون الذات "الشخصية" بأنها شيء أجتماعي طالما أن الأنسان هو حيوان أجتماعي ، يتعلم جميع مهاراته وأدواره وخبرته ومعارفه من المجتمع الذي يعيش فيه ، وبالتالي تدخل ذاتيه المجتمع الكبير في شخصيته المستقلة ([1]) وبشكل أعمق وأكثر

[1] البروفسور – دينكن ميشيل– معجم علم الأجتماع – ترجمة أحسان محمد الحسن – دار الحرية – بغداد ١٩٨٠ ص٢٦٨.

ترابطاً مع جنوح بعض من الأفراد الى مسلك من مسالك المعرفة المتواجدة في المجتمع وجنوح أخرين الى مسالك أخرى متباينه بعد أن رتبت مرحلة النمو الأجتماعي نضوجاً يكاد يكون أولي في أكتساب المعرفة بقدر محدود من حرية أتباع الميل والرغبة نحو هذا المسلك دون غيره ، بالشكل الذي حدده علماء التحليل النفسي الذين كانوا يعنون بطبيعة سلوكية الفرد أثناء علاقاته بالأخرين ، فمثلاً يقول العالم (سيلفان) بأن الذاتي الذي يدفع الفرد نحو مسلك معرفي هو نظام متكامل يتكون من عمليات تعالج القلق اثناء سيطرتهِ على الأنسان أما الفريد أدلر فقد طور نظريتهِ حول الذات المتأثرة بالمعارف والتي تنص بأن الذات هي نظام داخلي ذو صفه شخصية تعطي للشخص الذي يكتنفها طابع حياتي مميزاً ([1])ومن ضمن هذا التميز المتفاعل مع الذات كمية من المعارف التي ترتب له اراء حياتية حول مجمل الأشياء المحيطة به بأعتبار أنها توفر له تفسيرات كحقائق يعتقد بها ، وحيث أن مسالك المعرفة عديدة من ناحية التخصص بهذا العلم أو ذاك وأيضاً تحمل في طياتها تباين في موضوعة واحدة متطابقة الخصائص مما أنعكس ذلك على وجود شخصيات غير متطابقة يرتابها موجات متباينة من الشك المتبادل حول مجمل طروحات الحقائق ، فظهرت الفرق والجماعات والاحزاب تحاول جاهدة لأثبات الحقيقة من وجهة نظرها وتدعمها بأراء وتعابير ساعد في ذلك تباين الأستعداد النفسي والأنفعالي للمستلم (الفرد) .

أثر مسالك المعرفة : الفرضية هنا أن الفرد عندما يختار المتوفر عنده أو تجبره الظروف الموضوعية الزمانية والمكانية مسلك معين من مسالك المعرفة التي تنضج أو تهذب أو تطور أو تغير أرائه يختلف بطريقتهِ ومناهجه بالحصول على معارف نفس الموضوع عن مسلك اخر أتبعه فرد أخر من جماعته أو من جماعة أخرى ، فأن الأراء ستكون غير متطابقة حول موضوعه البحث ((مختلفة – متقاربة – متباينة

– متضادة – متشابهة)) .

تباين المذهَب : العقليون عندما ياطرون فلسفة الحياة السياسية ومؤسساتها ونظمها ، يؤشرون على أراء الافراد ضمن الجماعات المشمولة بهذا التأطير الغالب أو السائد ، وعندما يكون تأثير الفلاسفة الحدسيون الذين يخضعون المعرفة الحدسية المباشرة لمنهج العقل والحدود المنطقية يؤثرون في المدارس الفكرية والتعليمية ، كذلك الحال بالنسبة لهيمنة الفلاسفة الحسيون يرجعون المعرفة الى الأحساس بشكل اوسع من المرجعية للعقل ، ويعتبرونها ليست ضرورة مطلقة بل نسبية تجريبية أساسها الحس والتجارب الحسية ([2]) والامر ينطبق في حالة هيمنة الفلاسفة الميتافيزيقيون الذين يدعون الى الحصول على مسلمة الحقيقة المطلقة بدلاً من معرفتها الجزئية عن طريق رموز الفلاسفة العقليون ، ناهيك عن المذاهب الروحانية التي تصدر عمليات ((أغواء الروح)) الى حد التطرف بها لتسلب منه كافة الأراء الموائمة مع المتطلبات الحياتية لتسلب من الفرد وبالتالي يفقد

[1] المصدر نفسه ص٢٦٧

[2] أنظر محمد علي أبوريان م. س. ذ. ص٢٢٤– ص٢٦٧ ، كذلك وول ديوارنت م. س. ذ. ص٥٥٤ .

الفرد الأستدلال العلمي والعملي لأخراج التعابير والأراء المنسجمة مع الوقائع والمتناغمة مع أراء المجتمعات ، فهنالك جماعات من البشر تفضل السعي المضني واليومي في البحث عن صيد وسط الغابات لأشباع الجوع لوجبه غداء دسمة ليوم واحد فقط ، لكنهم لايتقربون من البحيرة التي يسكنون بجوارها والتي تحتوي على اللؤلؤ والاحجار النفيسة والاسماك وتستطيع أن تعالج مشكلة الجوع عندهم الى الابد بسبب التزامهم الروحي بقدسية هذه البحيرة ذلك الابلتزام الذي نجده عند نساء قبائل (الفيجان) اللواتي يعتبرن تعذيبهن بعد وفاة أزواجهن واجباً مقدساً ، وعندما يحاول شخص تخليص أحدهن من هذا العذاب ، تصر على العودة الى الجحيم لتكمل قصة العذاب حتى الموت ، بسبب أغواء الروح السائدة في هذه القبائل ، وفي غيرها من الجماعات ولكن تملك قصص ومضامين أخرى في هذا السياق ([1])قائمة على التمسك باللاوعي الثقافي (الاحتفالات – العادات – اساطير – غيبيات . . . الخ) .

لذلك نجد ان مسالك المعرفة العصرية تتجه بالتأثير على البيئة النفسية ومن ثم على اراء الفرد في المسالك التالية بعد أنتشار وعمق الاهمية السياسية لرأي وخبار الفرد في العملية السياسية أثر أتساع رقعه النظم الديمقراطية وطروحات حقوق الانسان :

أولاً : أفكار تسعى لبناء طبقة سميكة من العقائد الروحية على ذهنيات الافراد تعتبر مصدراً لأرائه وخيراته في أشباع الحاجة الروحية .لتوظف الاستعدادات الاولية النفسية في حصر الاراء المساندة .

ثانياً : أفكاراً تسعى الى بناء طبقة سميكة من الاسس والمبادئ النقدية والتحليلية في البحث عن التفاضل في الأراء والأفكار لأشباع الفرد أقتصادياً وصحياً وعقلياً ونفسياً ، أيضاً لتوظف هذا الاراء في مشاريع أجتماعية و أقتصادية وسياسية .

ثالثاً : أفكاراً تسعى الى بناء طبقة سميكة من المعارف والميول والرغبات لأخراج المكبوتات والمؤثرات اللاشعورية لأتمام النضج العقلي والجسمي عند طرح الأراء والخيارات لتنظيم حياة الفرد والجماعة وأستقرارهما وتطورهما في وقت أضحت المعرفة العقلانية المحصنة هي القادرة على بناء الحقل النفسي

والانساني الذي رتب الحصانه ضد مظاهر العنف والجريمة والأستغلال والفساد وأنحرافات السلوكيات التي أفرزت صفتين للاراء الواحدة المعلنة والمخفية ، الصفة العلنية التي يتم التعاطي معها بالمسؤولية ، والصفة الثانية المخفية التي يتعامل بها الفرد على أساس أنها الهدف الغير معلن أي وجود تناقض بين الرأي ومحتواه .

مسالك المعرفة والدراسات الاكاديمية :

مع بدايات العصور الوسطى كان الاهتمام على مسالك محدودة لأكتساب المعارف تتمحور عل التفكير التأملي Rellective thinking وسيكولوجية الملكات (الكفاءة) Facully

[1] أنظر وول ديوارنت – م. س. ذ. ص٤٨٩

phsaychlegy للقديسين أو غسطين وتوما الاكويني، فقد أهمنت بالكيفية التي يتم بها ترابط الافكار دون البحث عن أسباب وطبيعة اختلاف هذه الافكار وتعابيرها ، ثم توالت الأفكار حول ضرورة الأهتمام بدراسة الفرد كونه أساس البناء الأجتماعي وغايتهِ بالأعتماد على الملاحظة المباشرة والمكانيات العقلية والأهتمام بالتربية الحرة الطبيعية لأكتساب المعارف وعلى رأسهم روسو وبستالوتزي وهربرت فأنبعثت دراسة الفروق على الخصائص التي يختلف بها الأفراد بمنهجية تعتمد على الأستقراء والملاحظة ومتابعة مضامين المعارف التي يتلقاها ، وأستبدال المنهج الأستبطاني لمنهج العلمي وأعلن أن أثر دراسة المعارف في الظواهر النفسية كغيرها من الظواهر الطبيعية ، دراسة مختبرية يمكن قياسها ([1]) . حتى ظهر كتاب (الحواس والعقل) لبين Bain عام ١٨٨٥م حيث أكد على الأختلاف في القدرة الطبيعية للحكم على الأستياء من فرد الى فرد أخر بموجب تكوينه الطبيعي وطرق أكتساب المعارف ، حتى ظهر كتاب (الحواس والعقل) لبين Bain عام١٨٨٥ م حيث أكد على الأختلاف في القدرة الطبيعية للغرض الحكم على وصف الأستياء بموجب تكوينه الطبيعي وطرق أكتساب المعراف وأختلاف مسالكها .

ولعل حالة الشخصية الأكاديمية الكبيرة (سيمونر فرويد) خير دليل على أثر أكتساب المعارف الجينية التجريبية الجديدة في التغيير النفسي للشخصية ، بعد أن ملأ بكتاباتهِ بالتركيز على غريزة الحب ((الجنس)) عاد ليراجع نظريتهِ في العشرينات من القرن الماضي ليؤكد أن غريزة الموت تقف على قدم المساواة مع غريزة الحب في سطوتها على نفسية الأنسان [٢] وتصاعد هذا الرأي المعرفي المؤثر على الأفراد الطالبين للمعرفة من أساتذتهم في ستينيات القرن الماضي عندما أصبح السلاح النووي تهديداً مخيفاً للبشرية ، وكيف يتجرأ البعض على أبادة البعض الأخر ، فجاءت كتابات الباحثين الأكاديميين النفسيين امثال كونراد لورتز ١٩٦٦م الشهيرة عن العدوان وكتاب ديزموند موريس (القرد العاري)

يبحث في السلوك الأجتماعي والنفسي للأنسان عام ١٩٦٧م وكانت فكرتهما ((أن السلوك العدواني لدى البشر هو صورة معدلة مما درساه لدى الحيوان ، وبهذا أنتقلت دراسة العدوان من مجال الغريزة الى مجال السلوك وهنا نستذكر ماقاله البابا جورج ذابليكان عند تدمير مدينتي هيروشيما ناكازاكي بالسلاح النووي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية آب ١٩٤٥ فقال (أن الله كان في صف بلادنا[٣] دون الأهتمام لتلك المأسي والألام التي خلفها هذا التدميرللناس هناك ، وقبل سيغموند فرويد كان الفيلسوف (نيشه) الذي غزى الأضطراب النفسي عواطفه بعد مرضه عام ١٨٧٩م فتبدلت أرائه المادية رغم ميله الواضح للفن والفلسفة الى أراء حول كيمياء

[1] أنظر د. محمد عودة الريماوي م. س. ذ. ص٣١ – ص٣٣

[2] أنظر أريك فروم – تشريح النزعة التدميرية – عرض منشور في مجلة العربي العدد ٥٧٠ لسنة ٢٠٠٦م – ص١٨٩ .

[3] المصدر نفسه ص١٩١

العواطف والنفس وأصبح أكثر حباً للجمال والضحك وأمن بالقدر مع تقدم غوره في المعارف فألف كتباً حول (الحكمة الفرحة – فجر اليوم) حتى أنه ذهب الى جبال الألب [١] للتأمل والبحث بصورة أوسع عن المعارف ويدعو الى أحترام أراء الأخرين بشكل واضح بعد أن هيئت المعارف له بيئة نفسية مفادها عدم التوقف عن حدود معينة في عمليات أكتساب المعارف وضرورة الغور في مشاكلها ومتابعة وملاحظة تجددها الأمر الذي تطلب أحترام أراء الأخرين وعدم رفضها وأتخاذ الموقف المتشنج ضدها قبل أخضاعها للتحليل والفحص ، سيما وأن أفكاراً وأراءاً عديدة كانت تحتسب على جانب المذهب الميتافيزيقي الذي لاتستطيع الأدوات والوسائل البحثية التجريبية في مسالك المعرفة العلمية والعقلية أثبات صحتها ، بيد أن الزمن اللاحق كان كفيلاً في أثبات صحتها وهذا ما أطلق عليه لأحقاً (بالخيال العلمي) أي الأراء الميتافيزيقية المتصل بعض جوانبها بالحقائق العلمية المثالية التي لاتستطيع المناهج العلمية أثباتها أو أنكارها بسبب حجم قدرتها الأنية المتاحة .

وهذا ما أكده راسل الذي لايتخذ معبوداً أخر للمعرفة مع الرياضيات ، ولكنه مع تفاعله لمسالك المعرفات الأخرى ولتفهمه لأهمية العوامل النفسية في الرأي والتعبير وتقبل الأطروحات ، أكد رفضه على جوانب الغموض في التفكير ، وأعتبر أن تكامله وديناميكيته كفيلة بحرف أوهام العالم ، وأخذ يؤطر الرياضيات في بيئة نفسية مقبولة من المشاعر والأحاسيس فقال عن الرياضيات (وجدنا فيها جمالاً سامياً جمال البروده والقسوة والصرامة ، كالجمال الموجود في صناعة نحت التماثيل [٢]) فتجدد الأفكار وتطورها أنتج أحتراماً متبادلاً لأراء الفلاسفة والمفكرين ، ولم يعد كل واحد منهم متخندقاً في اطار فلسفته الخاصة ، وقد رعت الأكاديميات بتنوعها في مسالك المعرفة هذا التجدد والأحترام ، وأستطاعت أن تحتوي كل الميول والرغبات في تقصي المعارف في المجالات الطبية والهندسية والأجتماعية والنفسية والأعلامية والعلمية والأقتصادية . . . الخ، وقد أنتج هذا الاحتواء طبيعة تكاملية في كافة العلوم لتشبع طبيعة الحاجات المترابطة والمتداخلة لحياة الفرد والمجتمع بعد أن أرتقت بطالب المعرفة الى المراحل العليا التي يلتقي بها مع غيره من المبدعين في العلوم المعرفية الاخرى

للمشاركة في تكامل وصف الأشياء وحقائقها وخصائصها وفق مبادئ المناقشة والمجادلة وأحترام الرأي والرأي الآخر التي لابديل عملي عنها ، وهذه الحاجة الفردية والأناسية أنتجت بيئة نفسية مستديمة للتواصل مع مناقشة أراء الآخرين في كل ما تتعرض له مسالك المعرفة ، لتنسف ذلك الجمود والتصادم الذي وفرته البيئة النفسية للجماعات المنغلقة تحت أعتبارات عنصرية أو مذهبية أو نقصية أو تحيزيه أو نمطية أو تلك المتعلقة بالأنتماءات الأجتماعية الطبقية أو

[١] وول ديوارنت – قصة الفلسفة – م. س. ذ. ص٥١٨ .
[٢] وول ديوارنت – قصة الفلسفة – م. س. ذ. ص٥٨٧ .

الهويات السيكولوجية ([1]) التي أفترضها البعض في خطب صدام الحضارات ، حيث أعتبروا " أن الثقافة أو الهوية الثقافية للأمم والتي في أوسع معانيها الهوية الحضارية ، هي التي تشكل نماذج التفكك ، التماسك ، الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة ، وأعتبر أن أكثر الصراعات أنتشاراً بسبب الأختلاف الثقافي للشعوب ([2]) متناسباً أن الثقافة السياسية المادية النفعية لايمكن أن نضعها في أطار تفاعل الحضارات الأنسانية التي أساسها ثقافات الشعوب صوب التفاعل نحو التكامل الحضاري فكل شعب يأخذ ويضيف الى ثقافة الأخر ، فهل يستطيع صموئيل هنتنغتون أن يقدم أي أبداع حضاري مادي تكنولوجي كامل غير منقوص دون أن يأخذ أي جزء منه من أبداع شعب أخر ، وكذلك عن الأبداع الحضاري الروحي ، لذلك جاء البديل سريعاً في حوار الحضارات وتفاعل الثقافات بديلاً عن صدامها وصراعها أو حتى فرض ثقافة معينة تحت ذريعة تفوقها وأنتصارها .

الخاتمة / موت المؤلف وسيادة التأثير النفسي للنص :

ظهر العديد من المفكرين المختلفين في أنتمائاتهم الفلسفية من أصحاب المدارس الدينية والمادية والوجودية والأشتراكية والليبريالية . . . الخ ، وعاشرهم وأستمع اليهم المؤيدون والمعارضون لأرائهم في الوجود والتاريخ والحياة والأقتصاد والحريات ، وتنكر البعض لهذه الاراء وحاربوهم وأستلبوا الحياة من قسم منهم ، بيد أن قوانين ديناميه الحياة والفكر أفرزوا حقائق بايولوجية ووراثية ونفسية وحياتيه أخذه مع الوقت في أنتزاع مساحات من نطاق أنتشار الأستبداد بالرأي لحساب تنامي مساحات حرية الراي الأخر ، مع أنتشار حقائق الحاجة الضرورية الاجتماعية الساعية دائماً لنيل أقصى مراتب الدقة والسلامة للأفكار والأراء في عمليات التنظيم والبناء الأجتماعيين ، ومن منطلق أستحالة موت الأراء والحاجة اليها ونبذ النتائج الكارثية للأستبداد بالرأي ، تصاعد الأهتمام والاحترام للرأي العام والرأي الآخر ، وجاءت

[1] د. أحمد زايد – سيكولوجية العلاقات بين الجماعات م. س. ذ. ص٢٨ .

[2] د. أحمد زايد – سيكولوجية العلاقات بين الجماعات م. س. ذ. ص٢٨ .

لمزيد من المعلومات أنظر – صموئيل هنتنغتون – صدام الحضارات وأعادة بناء النظام العالمي – الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – بنغازي ١٩٩٩ – ص١٤ – ص١٥ .

المبادي ثم القوانين والآلياب والمؤسسات لتوظف هذه الحقائق في عمليات البناء الأجتماعي في جميع أركانه بأطار بيئه نفسية يتسع نطاقها في جميع المجتمعات الانسانية لتحدد أتجاه ومعنى سلوك الافراد في الهرم الاجتماعي بأعتبار ان أبداء الرأي والتعبير حق طبيعي للفرد الملتزم بمسؤولية الأحترام والتفاعل مع الرأي الأخر ، فقد رتبت الظروف الموضوعية والنظام الحياتي للفرد موتاً للفرد ويوارى الثرى ، ولكن لاتوجد أية أمكانية لموت الرأي ودفنه ، وقد تستطيع الحكومات والقوى السياسية الأخرى حجزالافراد داخل البلد وعدم تجاوز الحدود لكن الاراء تبقى تتناقل عبر الاجيال وعبر الاثير لاتوجد اية قوة لمنعها من الانتشار والتداول ، لأنها حقوقاً طبيعية تحمل أسرار بقائها معها ما دام الأنسان باقياً .